ينظّم قسم العربيّة بكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس،

بالتعاون مع مخبر المناهج التأويليّة ووحدة البحث في المتخيّل،

ندوة علميّة دوليّة أيام 6/ 7/ 8 أفريل 2021 تحت عنوان:

"الضمنيّ في الكلام والأدب والفكر"

الورقة العلميّة:

تطرح أركيوني سؤالا خطيرا مؤدّاه: أين يبدأ مجال الضمنيّات (الضّمنيّl'implicite)؟ وعن هذا السؤال تُجيب بما أجاب به عنه غرايس الذي يُميّز في الكلام بين القول المباشر ومقتضاه أن تقول شيئا، والقول الضمنيّ ومقتضاه أن تحمل أحدهم على أن يفكّر في شيء لم تقُله.

ولكن كيف تتمّ عمليّة التفكير في شيء غير ظاهر على سطح الكلام؟ لعلّ الاستدلال (inférence) هو العمليّة الأساسيّة التي تسمح بالكشف عن الشيء المخفي والضمنيّ في القول. والاستدلال الذي ينهض به المخاطب أو القارئ، منطلقاته متعدّدة:

- القول أو النص.
- الجوار النصّيّ أو السياق المقاليّ (Cotexte)، ومعناه أن استكشاف أحد الضمنيات من فصل نصي أو من مقطع من النص، يقتضي تنزيله في السياق الأوسع الذي نزل فيه.
- العناصر المصاحبة للقول أو النص (Paratexte) وهي تلك التي تتمثّل في مدى صوت المتكلم أو حركاته وسكناته.
- المقام (Contexte)، وهو مجموعة ظروف قول مّا في مكان مّا وفي زمان مّا وذلك باعتبار طبيعة المتخاطبين وعقائدهم. فالقول في المسجد يختلف عن القول في الجامعة مثلا. ويرجع هذا إلى ما يتوفّر للمقول له أو القارئ من معارف، بها يتأوّل ما خفي في النص أو في القول.

وللضّمنيّات في القول وجوه شتّى، نذكر منها

- المعنى الافتراضيّ (Présupposé) غير المذكور في هذا القول أو ذاك. فعندما أسأل صديقا لي عن رأيه في مؤلّفات الطّبريّ مثلا، أضمرت اعتقادي ويقيني أنّ هذا الصديق ممّن اختصّ في التّاريخ العربيّ القديم.
- المعنى المهمت (Sous-entendu) وهو المعنى الذي نسوقه في أقوالنا بشكل ضمنيّ ولا نريد أن نتحمّل مسؤوليّته بشكل ظاهر، كأن أقول لصديق لي صعب المزاج "إنّ حسنا قد أقلع عن التدخين فشُفي"، وأنا أُريد أن أدفع هذا الصديق إلى النسج على منوال حسن، فإذا لامني مثلا على قولي تبرّأتُ ممّا ظنّ صاحبي أنّي قصدته، وكثيرا ما يُستدلّ على هذا المعنى بالمقام.
- العمل القوليّ غير المباشر(L'acte de langage indirect) حسب عبارة سيرل. ومقتضاه أنّنا نقول أشياء ونحن نقصد أشياء أخرى، كأن أقول وأنا ضيف "الطقس حارّ جدّا"، وأنا أريد طلب تشغيل المكيّف.

ولئن وضع غرايس قواعد للكلام تقوم على مبدأ التعاون(Coopération)بين المتخاطبين، ومن هذه القواعد الإفادة والوضوح والصدق وغيرها، فإنه ذكر أيضا أنّ مثل هذه القواعد غالبا ما يقع خرقها، فينتهي التعاون الظاهر. وعندئذ يلجأ المخاطب إلى تأويل ما خفي أو غمض من الكلام أو نقص منه بالاعتماد على ما يُسمّيه غرايس الاستلزام (Implicature) الذي قوامه التّمييز الأساسيّ بين ما يُقال وما لا يُقال (أي الضمني) من الملفوظ. فما يُساق في المقول يتعلّق بالمضمون المنطقي للملفوظ باعتبار مظاهره الصّدقيّة(Vériconditionnels). وفي مقابل ذلك يُعرّف الضمنيّ تعريفا سلبيا أي من جهة كونه مسوقا في الكلام دون ذلك الذي يكون في ظاهره. وعلى هذا النحو يكون الاستلزام متعلقا بشكل أساسي بالعناصر غير الصدقية في الملافيظ. ومن هذه الجهة كذلك يجعل المتكلّمُ سامعه أو قارئه يدرك من الدلالة ما يفوق المعنى الحرفي للملفوظ. فعندما أقول مثلا "ما أروع هذا اليوم، من حسن حظّي أن لم أخرج إلى الحقل بعد"، فقولي "ما أروع هذا اليوم" يحمل انطباعي المعجب بالطّقس. لكن القسم الثّاني من ملفوظي يجعل القسم الأوّل غير صدقي باعتباره ضربا من التهكّم، ويستلزم تعديله في ضوء السياق، فيصبح الحديث عن روعة الطقس غير صدقيّ، وإنما يضحي تهكّما. وعندما أقول "هذا ابنُ حسن، إنه طائش"، فأنا لم أقل إن طيشه مأتاه أبوه، وإنما الطيش يستلزم أن يكون هذا الشّبل من ذاك الأسد .

ولا يقتصر مجال الضّمنيّات على حقول التلفّظ والتّداول، إنّما يعود الفضل في نشأته إلى البنيويّة الوصفيّة بعامة وإلى ليونارد بلومفيلد (L.Bloomfield)على وجه الخصوص، وذلك في إطار الاتّجاه التّوزيعيّ. كما لا تنحصر الجهود في الضّمنيآت في أعمال غرايس

وأوستين وسورل وإنّما هي تتجاوز ذلك إلى مباحث ديكرو وانسكير في نطاق سلالم الحجاج (Les échelles argumentatives) واللسانيات المدمجة Linguistique (integrée).

وإذا كان الكلام عامّة مجالا لعديد مظاهر الضمنيّات، فإنّ الأدب عامّة شعرا كان أو قصصا أو مسرحا، أكثر مجالات الضّمنيّات اتّساعا وعمقا باعتبار أنّ الخطاب الفنّي عامّة هو خطاب غير مباشر منفصل عن منتجه وعالمه التاريخي. فليس في الأثر الفنّي إحالات مباشرة على حقائق الناس، وإنّما الإحالة على هذه الحقائق غير مباشرة تتمّ بوسائط الصور والايقاع في الشعر وعبر الشخصيات والأمكنة والأزمنة التّخييليّة وعن طريق الرواة، وسائط بين عالم التّخييل وعالم الناس في مجال القصص.

أمّا في المسرح فالتّمثيل على الركح إعادة صياغة أخرى للتّاريخ، مثلما أن الألوان والأشكال في فنّ الرسم ظواهر لحديث مضمر وخيال مجسّد. ولا شكّ في أنّ صفة اللامباشرة في الأدب هي التي تجعل ما يقال في ظاهره غير ما يراد قوله في باطنه. وعلى هذا الأساس يكون الفنّ عامة مجالا للفراغات التي هي عنوان الضمنيات. والفراغ في السنن الأدبي يكسب النصّ دلالة افتراضيّة تتجاوز الدلالة اللغوية. وعلى هذا النّحو يضحي العمل الفنّيّ عامّة، مجالا لتعدّد التّأويلات.

ومبحث الضّمنيّات قديم قدم المنطق عائد إلى قياسات أرسطو على وجه التّحديد. والقياس المضمر هو في مجرى الاستدلال من أوكد الحالات دلالة على ما هو ضمنيّ باعتبار العنصر المحذوف.

وللفلسفة عموما والفلسفة الحديثة خصوصا، دور ريياديّ في إظهار المضمر وتعرية الضّمنيّ في القول أو فضح المسكوت عنه في الظّواهر، ليس لأنّ من ألزم مهامّها الاستشكال والنقد فحسب، ولكن لأنّ التأويل من أهمّ مداراتها أيضا. وقد بات من الواضح في الدراسات الّتي تهتمّ بالتّأويل والهرمنيوطيقا، أن أظهر تجلّيات التأويل كونه نشاطا ذهنيّا وفعّالية إنسانيّة يسمحان للمتلقّي بأن يتعمّق في تفاصيل النصّ وأن يبحث عن حقائقه المضمرة، وربما المغمورة، لاعتبارات معيّنة من أجل فهمه وفكّ رموزه.

وبناء على ذلك، يمسي التأويل ذلك التجسيد العمليّ لمضمون الفهم في كلّ عمليّة تواصليّة، بل إنّه يكون أيضا وسيلة لاستكشاف السّنن على اختلاف صوره سواء كانت دينيّة أو علميّة أو أخلاقيّة أو إبداعيّة. من أجل ذلك يصبح التّأويل على صلة متينة بمحاولة تفكيك إشكاليّة الفهم وإدراك كنهها، لا باعتبارها تصوّرا نفسيا ولكن بوصفها تصوّرا وجوديا يراعي خصوصية انفتاح الكائن على ذاته وعلى الوجود، ذلك أن للفهم وجوها كثيرة، منها الوجودي ومنها التاريخي ومنها الجمالي كذلك.

ويبدو أنّ للتّأويليّة علاقة قويّة بالضّمنيّ مادامت منابعها قد تجلّت في الأصل من عدم الفهم النّاجم عن تحوّل القول إلى نصّ، أي من ضياع المعنى الأوّلي الحيّ المباشر وعجز هذا النصّ عن الايفاء بأسئلة المعنى الّتي تصاغ حين قراءته. لذلك كانت الفيلولوجيا هي أصل التّأويليّة لتأسّسها جوهريّا على إعادة تحيين الدّلالة بعبارة غوسداروف أو ترميم المعنى بعبارة بول ريكور. بيد أن العناية بالفيلولوجيا لم تمنع استدعاء التقليد التأويليّ المنصت للمجاز ولثنائية المعلن والضّمني.

ولم تكن ضمنيّات القول لتغيب عن تراثنا العربي سواء ضمن مبحث الحذف في النّحو والبلاغة أو في مجال السّياق باللّسان وبغير اللّسان، فضلا عن نصوص البيان المحتفلة بمواضيع السّكوت والصّمت كتلك التي خاض فيها ابن المقفّع والجاحظ مثلا. ولم تغب ضمنيّات القول والفكر عن علماء أصول الفقه وعن الفقهاء، بل إنّهم خصّصوا مقدّمات لغوية طويلة في مصنّفات أصول الفقه للوقوف على علاقة اللّفظ بالمعنى في الخطاب، وانتهوا إلى مسألة القصد باعتباره مفهوما يتعلّق بصاحب الرسالة أو منشئ الخطاب أكثر من اتصاله بالخطاب ذاته. ثمّ إنّ الأصوليّين قد دعاهم ضبط أحكام التكليف في النصّ المقدّس إلى الانتباه إلى أن الخطاب في القرآن يخاتل قارئه ويظهر أحيانا عكس ما يبطن، فوقفوا وقفات دقيقة على مفهوم الخطاب مناطا وفحوى، ظاهرا وباطنا، وغيرها من الثّنائيّات التي وضعوها لمحاصرة القصد وضبط الدّلالة وتحديد مسالكها.

في ضوء ما تقدّم ندعو الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاور التالية:

- الضّمنيّ في فنون البلاغة وصنوف الكتابة الأدبيّة.
- الضّمنيّ في مجال اللّسانيات وعلوم اللغة.
- الضّمنيّ في الخطاب الفلسفيّ والتّاريخيّ والدّراسات الثّقافيّة والحضاريّة.
- الضّمنيّ في الخطاب الدينيّ والعلوم الإسلاميّة.
- الضّمنيّ في مباحث الفنون والجماليّات.

تخضع جميع الأوراق البحثية للتحكيم وترسل المقترحات على العنوان الالكتروني التالي:

dhimni2021@gmail.com

آخر أجل لقبول الملخّصات يوم 30 نوفمبر 2020.

ملاحظة: يمكن للندوة أن تنعقد عن بُعد إذا حالت جائحة كورونا دون الحضور المباشر.

استمارة مشاركة

الاسم واللقب: .....

الدرجة العلمية والاختصاص: .....

المؤسسة الجامعية: .....

العنوان والهاتف الشخصي: .....

البريد الإلكتروني: .....

عنوان البحث: .....

المحور الّذي يندرج فيه البحث: .....

ملخص البحث:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

شروط المشاركة:

- ضرورة الالتزام بإشكالية الندوة، والبحث في واحد من محاورها.
- أن يكون البحث جديدا ولم ينشر من قبل ولم يقدّم في ندوة أخرى أو ملتقى آخر.
- تكتب البحوث ببرنامج (word)، بخط (Simplified Arabic) بحجم 14 في المتن و12 في الهوامش للبحوث باللغة العربية. وبخط (Times New Roman) بحجم 12 في المتن و10 في الهوامش للبحوث باللغة الفرنسية والأنجليزية.
- ترفق الملخصات والبحوث بسيرة ذاتية مختصرة عن أصحابها (في حدود 150 كلمة).
- يتلقى أصحاب البحوث المقبولة دعوة رسمية للمشاركة في أشغال الندوة.
- تخضع جميع البحوث للتحكيم العلمي، ويتعهد أصحاب البحوث المقبولة بإجراء التعديلات التي تقترحها اللجنة العلمية عند الاقتضاء في آجال مضبوطة.
- يتعهد قسم اللغة العربيّة وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس بنشر أعمال الندوة.

منسق الندوة

الأستاذ محمّد الخرّاط